

المعجـمة و الوظيفة

الأستاذ : نورالدين بلاز

جامعة سعد دحلب البليدة

عندما نريد أن نختبر شخصا ليتأهل في صناعة ما نقول له : ماذا تحسن ؟
و من خلال عنوان المداخلة (المعجمية والوظيفة) أريد أن أتوصل إلى الوظيفة التي تتعلق بالمعجمية ،
ماهيتها ، أدواتها ، هدفها ، و حدودها . و هذا من أجل التوصل إلى تحديد وظيفة هذا الاختصاص .
و إذا رجعنا إلى التراث العربي القديم في اللغة بشكل عام فإننا سنصطدم بكم هائل من الكتب
المتنوعة في هذا الجانب ، في زمن ممتد في الدراسات اللغوية قديما .
و إ واصلنا البحث فيما كتب في جمع الكلمات ، و تصنيفها حسب أصواتها و دلالاتها
لوجدنا دصيذا معجميا منجزا و مستوفيا من حيث البناء القاعدي لهذا العلم . بحيث ضببطت قواعده
و قوانينه و أحسن دليل على ذلك ما تركه القدماء من مصنفات معجمية على غرار (لسان العرب)
لإبن منظور ، و (كتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهدي .
و لعل البحوث اللغوية الأخرى كعلم النحو ، والبلاغة كان لها الأثر في تنشيط الاهتمام بالمعاجم
من قبل هؤلاء العلماء و من ثم ارتسمت صورة التعدد الوظيفي للغة ، فشكلت بحوثهم نظاما عرفيا للغة
العربية ، حتى بلغت عندهم مرحلة استطاعت أن تصفغي على نفسها أشكالا عدة من خلال تعدد
وظائفها البلاغية و النحوية، و الاجتماعية و العاطفية.
ما يهمننا من هذه الوظائف ، الوظيفة العاطفية و هي عنصر من أبرز عناصر الأدب .
و لقد دأب كثير من الدارسين أن قسموا الأدب إلى مستويين :
أولا : مستوى بلاغي
ثانيا : مستوى عاطفي فمن خلال هذه المسافة التي تفصل بين المستويين نرصد الإزاحة اللغوية التي
تنشأ نتيجة الانتقال من مستوى إلى آخر .
فأي انتقال يحدث داخل هذه المسافة يؤسس إزاحة ما داخل اللغة . صحيح أن اللغة تتميز بالثبات،
و لكن هذا الثبات نسبي مادام متعلقا بحصيلة معجمية للكلمات في مدى زمني محدود .
إن الرصيد المعجمي متغير ما دامت الإزاحة اللغوية واردة ، فيحدث نوع من التمرد عن العرف
اللغوي من المستوى الأول لوظيفة اللغة . و كلما اتسعت مساحة تلك الإزاحة تبع ذلك نوع من
الغموض .

فالوظيفة اللغوية قابلة للتغير ، وهي نتيجة له ، و هذا التغير يمس منطقها داخل تلك الوظيفة العرفية أو ما أسس لها من منطق لغوي خاص .

وإن من أهم أنواع الإزاحات هي الإزاحة الدلالية ، لأنها تتعلق بدلالة الكلمة المفردة الواحدة ، وهي الخلية الأولى للنسق .

فإن التغير الذي يحدث في المفردات يؤدي إلى التغير في السياق . فالمفردات - العلامات - تنتج أشكالاً ، وإزاحات متعددة بدورها . و هذه الأنواع من الإزاحات كما يتصورها (جون بيرس) تتمثل في العلامات اللغوية كما عرفها قدماء اليونان ، ونظر لها من جاء بعدهم من علماء العرب و الغرب قديماً و حديثاً .

فالعلامة اللغوية التي تسمى (الأيقون) هي علامة تشير إلى موضوعها من خلال ارتباطها بموضوعها ، وتشير إليه على أساس التشابه بينهما .

و كذا المؤشر الذي يعتبر علامة يشير إلى موضوعه من خلال ارتباط طبيعي كالدخان بالنار ، و السحب بالمطر . أما (الرمز) فهو علامة لغوية تشير لا إلى موضوعها من خلال ما اصطلح عليه ، فلون الأحمر مثلاً للتوقف ، في قوانين المرور .

إن الفلاسفة العرب استفادوا من اطلاعهم على كتب (أرسطو) ، و آثار المتصوفة الذين ربطوا مفهوم الظاهر و الباطن، فكانت لهم آراء مهمة في هذا الصدد كـ (ابن عربي) الذي أدرك بأن اللغة وظائف متعددة .

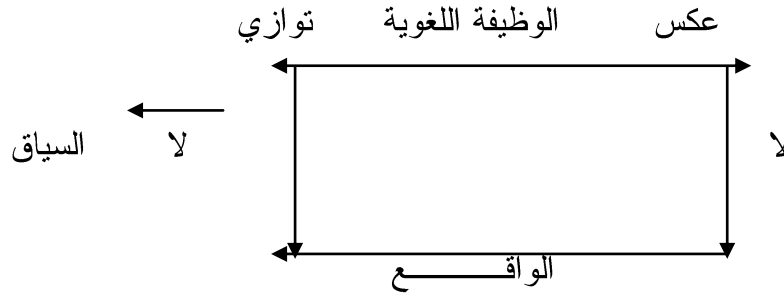
فشبه الرؤيا بالرحم ، مثل تكون الجنين في الرحم ، كذلك المعنى في الرؤيا عنده نوع من الإتحاد بالغيب . و كأن (ابن عربي) أراد أن يلفت النظر إلى تغيير يحدث في هذا الامتزاج بحيث يحدث شيء جديد . فاللغة وظيفتها نقل هذه الصورة الجديدة للعالم .

ومن ثم تتحدد وظيفتها من خلال نقل الحقيقة ، و هي المستوى الأول ، ثم يحدث المخاض في المستوى الثاني عن طريق توليد العاطفة ، فيكون النقل مزدوجاً ، و لكن في صورة واحدة .

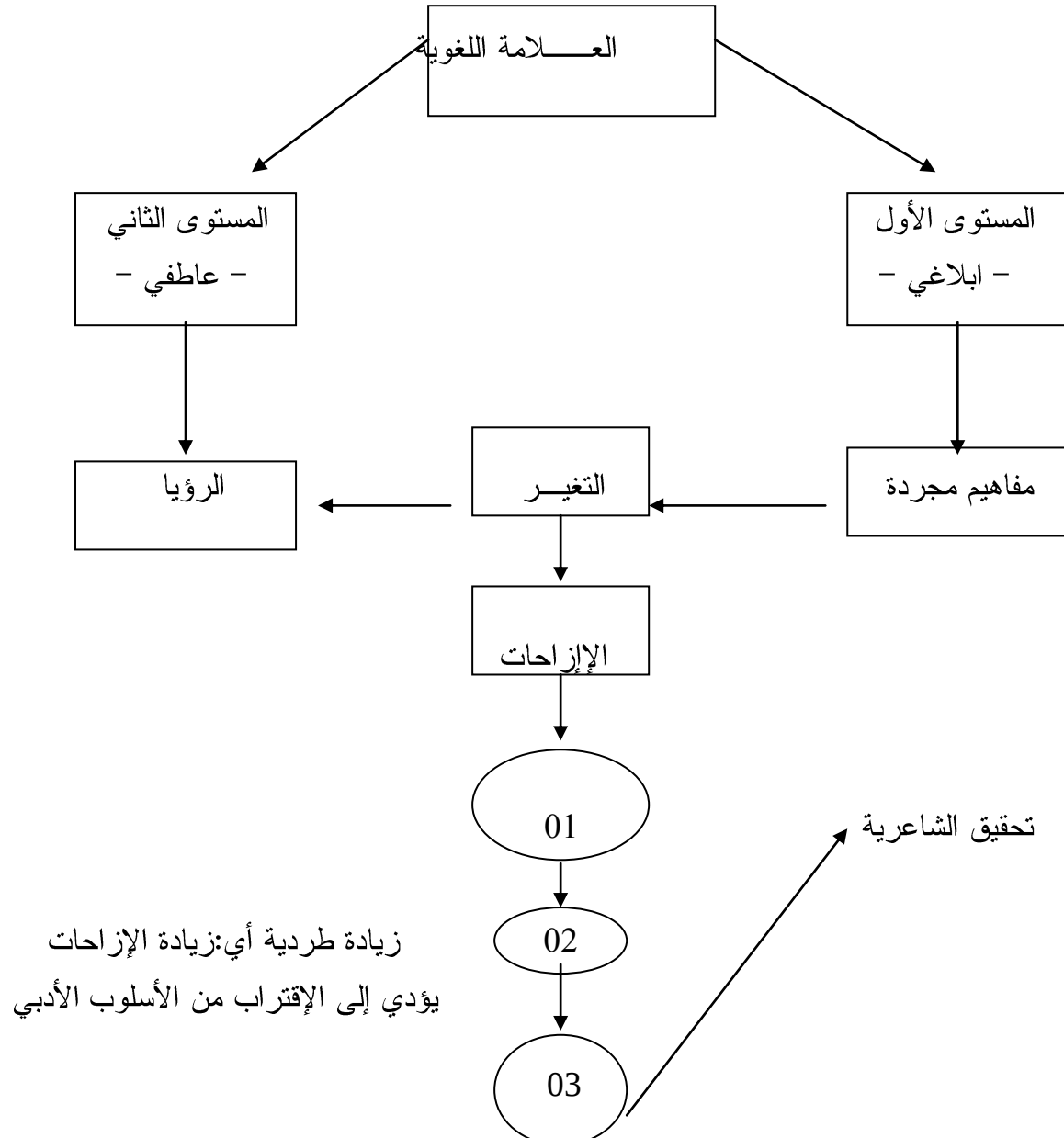
فإن الإزاحة تجعل من العبارة عبارة غير معقولة ، تهدم المنطق العقلي لتؤسس بدلاً منه منطقاً عاطفياً.

فبهذه الوظيفة تتجاوز الواقع و لا تهبط إليه ، بطريقة موازية ، أو معاكسة .

و سيتضح أكثر من خلال الرسم و العلامة اللغوية عبر هذه الوظيفة التغيرة ، و بفضل الإزاحة تكون دات فاعلية داخل السياق تارة ، و دات تأثير على المخيلة تارة أخرى



وكلما اتسعت الإزاحة ، اقترب النص من الشعرية ، وبناء على ما تقدم من إظهار ذلك التغيير الذي يحدث في عملية النقل عند النقاء المستويين بفعل تلك الإزاحات ، سنبين من خلال الرسم الآتي الحركة النشطة تتجلى لنا الوظيفة التي تنقلها العلامة اللغوية إذا تعلق الأمر بموضوع يكون مشحوناً عاطفياً.



المراجع :

- 1-الخطاب الشعري و إشكاليات الإزاحة في اللغة — مقال لـ عبد العزيز موافي .
- 2- سلسلة من المحاضرات في علم الدلالة — نورالين بلاز — جامعة سعد دحلب .
- 3- مجلة الفكر ، العدد 94 ، ص 24 .